

الخلوة السودانية في القرن الرابع عشر الهجري

د. إدريس علي الأمين

جامعة أم القرى بمكة المكرمة-السعودية

ملخص:

لقد دخل القرآن السودان في القرن الأول الهجري من ثلاث جهات: الشرق، والشمال، والشمال الغربي؛ فانتشر الشيوخ وأسسوا المدارس القرآنية التي تعرف في السودان بالخلوات جمع خلوة وقد عمّت هذه الخلوات كل ولايات السودان الحالية فسادت رواية الدوري عن أبي عمرو البصري، ورواية ورش عن نافع المدني، ورواية حفص عن عاصم الكوفي. وفي القرن الرابع عشر الهجري أنشأت خلوات كثيرة من بينها خلوة الخليفة عبد الله التعايشي، وخلوة الشيخ علي صالح حمد حسن الدسيس، وخلوة الشيخ محمد أحمد أبو عزة، وخلوة الشيخ علي بيتاي.

وقد اهتمّت الدولة المهدية بشيوخ القرآن، وصرفت لهم الرواتب الكبيرة، واعفتهم من الالتحاق بالجيش إيماناً بدورهم العظيم.

وكذلك حكومة الرئيس نميري الذي أنشأ مسابقة سنوية للحفظ كما أنشأ معاهد القراءات وكلية القرآن الكريم.

أما الرئيس البشير فقد أصدر قرارات من بينها تعيين حافظ القرآن بمرافق الدولة المختلفة في الدرجة الوظيفية الجامعية، كما أبقى حافظ القرآن من الرسوم الدراسية إذا قبل بالجامعات الحكومية أو الأهلية أو الخاصة.

وتفضيل الحافظ الحاصل على شهادة البكالوريوس الأولوية على كافة الخريجين في الحصول على الوظيفة، كما زاد معاهد القراءات وطوّرت كلية القرآن الكريم إلى جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، وأنشأت كلية القرآن الكريم بولاية الجزيرة ثم طوّرها إلى جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم.

كما أنشأ جائزة عالمية باسم جائزة الخرطوم الدولية ليتنافس عليها حفظ القرآن من مختلف دول العالم.

وأما أبرز شيوخ هذه الخلوات في القرن الرابع عشر فهم الشيخ البدوي الشيخ محمد الأمين أبو صالح، والشيخ علي صالح حمد حسن الدسيس، والشيخ علي بيتاي، والخليفة حسب الرسول محمد بدر.

-أما سمات وخصائص هذه الخلوات فهي تميزها باستخدام البيئة المحلية في وسائلها وأدواتها كاللوح والقلم والحبر والجير والإضاءة، كما سهلت تعليم القراءة والكتابة للطلاب المستجد.

Abstract:

Quran entered Sudan in the first century of Hidjra from three sides: the east, the north, and the northwest sides. Later, Koran teachers founded Quranic schools, known in Sudan as khalwat. These schools spread all over the current states of Sudan; as a result, Dawri recitation of Abu Amr

Basri, Warch recitation of Nafie Madani, and Hafs of Asim Kufi emerged.

In the fourteenth century of Hidjra, many Quran schools were established, including that of Khalifa Abdallahi ibn Muhammad, of Sheikh Hamad Hassan Ali Saleh Dezas, of Sheikh Mohammed Ahmed Abu Azza, and that of Sheikh Ali Betie.

Mahdia State encouraged Quran. teachers, and gave them big salaries, they even freed them from joining the army in the belief of their great role. As well as the government of President Nimeiri which organized an annual competition for Quran keepers. It also established institutes and the College of the Holy Quran.

As for President al-Bashir has issued decisions including the appointment of Quran keepers in the various state facilities and in the university functional degree, also exempted Quran keepers from taxes whether by government or civil or private universities. In addition, He gave Quran keepers the priority to get qualified jobs than any other graduates, and he increased Quran readings institutes and developed the Quran School to the University of the Holy Quran and Islamic Sciences, and established the Quran Gezira State College and then developed it to the Quran University and rooting science.

The president also established an international award on behalf of the Khartoum International Award for competitors from various countries around the world.

The most famous Quran teachers in the fourteenth century were the Bedouin Sheikh, Sheikh Mohammed Al Amin Abu Saleh, Sheikh Ali Saleh Hamad Hassan Dezas, and Sheikh Ali Beatie, the Caliph by Rassoul Mohammed Badr.

The characteristics of these Quranic schools is using the local environment in its methods and tools like wood, pen, ink, lime and lighting, they have also facilitated the studies of the new students.

مقدمه:

الحمد لله رب العالمين، وبه نستعين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا وحبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اما بعد:

فهذا بحث بعنوان:

(الخلوة السودانية) في القرن الرابع عشر الهجري

إن الله سبحانه وتعالى قد ختم الأنبياء بمحمد صلى الله عليه وسلم، وأرسله إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا، و داعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وأنزل عليه كتابا مصدقا للكتب السابقة ومهيماً عليها بواسطة جبريل عليه السلام؛ فحفظه النبي صلى الله عليه وسلم وبلغه للأمة، وحث أصحابه على تعلمه وتعليمه؛ فسارعوا إلى حفظه، وتجويده، وتتبع وجوه قراءاته، وتسابقوا إلى مدارسته، وتعلم أحكامه، وفهم معانيه، والعمل بما فيه، فانتشروا في الأقاليم والبلدان؛ لينقله الشيوخ غصاً طريا ويعكفوا على تبليغه للأجيال في المدارس القرآنية التي اشتهرت بمسميات منها:

الكتاتيب والمحاضر والزوايا والخلوات.

ولقد عرفت هذه المدارس في السودان بالخلوات فهي رائدة التعليم في بلاد السودان، وصاحبة اليد الطولى والقدح المعلى في صياغة وجدان السودانيين وتركيز نفوسهم، وإعدادهم، وتأهيلهم لحمل الأمانة واستشعار المسؤولية من خلال القرآن الكريم.

فمن خلال هذه الخلوات تعلموا تعليما فريدا مع ضعف الإمكانيات، وتربوا تربية متميزة مع قلة الوسائل، فهي محل احترام ومكان تقدير من السودانيين حتى امتد هذا الاحترام وذلك التقدير الى إسناد الوظائف الإدارية المهمة لخريجها فحسنت سيرتهم لحسن سريرتهم، وكثر عطاؤهم لنبل مقصدهم، وتعدد خيرهم لوضوح غايتهم، وأتقن عملهم لحسن إعدادهم.

والبحث هذا معني بإبراز خصائص هذه الخلوات وجهود شيوخها لا سيما في القرن الرابع عشر الهجري.

والخطة المنهجية لهذا البحث تتكون من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول: الجانب التاريخي (النشأة والتسلسل)

المبحث الثاني: أبرز شيوخ هذه الخلوات.

المبحث الثالث: سمات وخصائص هذه الخلوات.

فإنه أسأل أن يبارك في الأعمار والأعمال، ويحفظ البلاد والعباد.

المبحث الأول: "الجانب التاريخي" (النشأة والتسلسل)

لقد دخل العرب المسلمون السودان من البوابة الشمالية "مصر" والبوابة الشرقية "البحر الأحمر وباب المندب" والبوابة الشمالية الغربية "المغرب العربي الكبير" ثم اندفعوا لقلب البلاد وتوزعوا فيها كما تدل على ذلك الروايات الصحيحة⁽¹⁾ وكان ذلك في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وولاية عبد الله بن سعد بن

⁽¹⁾ انظر: الطيب محمد الطيب: المسيد: ص 157 هيئة الخرطوم للصحافة والنشر.

أبي السرح رضي الله عنه على مصر الذي أبرم إتفاقية مع ملك النوبة (قَلِيدْرُثْ) قضت بدخول المسلمين بلاد النوبة أياً كانت صفة الداخل.⁽¹⁾

فدخل الفقهاء وحفاظ القرآن وظل المسلمون يتكاثرون على طريق القادمين الجدد وعن طريق التزاوج بين الذكور العرب والإناث النصرانيات.⁽²⁾

ومرت الأيام وأسلم جميع سكان البلاد وآل الحكم إليهم فأنشأت الخلوات القرآنية وأسست على منهجية مدروسة وعمل منظم ولوائح معروفة ليعم الخير جميع أرض السودان المترامي الأطراف. فالروايات المتواترة تقول:

(إن المشايخ الكبار كانوا يشترطون على الحفاظ والخريجين الجدد ألا تتلاقى خلواتهم وأن لا ينزل أحدهم مكاناً فيه خلوة وبهذه الوسيلة انتشرت خلوات القرآن حتى عمت جميع بقاع السودان المأهولة بالسكان)⁽³⁾.

فقامت خلوات كبيرة استمرت قروناً مثل خلوة الغُربِيَّة وخلوة أم ضوَابان وخلوة ود أبي صالح وخلوة أولاد جابر وخلوات الغبش وغيرها.⁽⁴⁾

وأهل السودان يسمون المدارس القرآنية "خلوات" جمع "خُلوة"⁽⁵⁾

⁽¹⁾ انظر: البيلي: د. أحمد محمد إسماعيل: القرآن في السودان منذ فجر الإسلام وحتى اليوم ص 118 مجلة كلية القرآن الكريم بالسودان: العدد الأول ذوالحجة 1427هـ _ ديسمبر 2006م.

⁽²⁾ انظر: المصدر نفسه ص 119.

⁽³⁾ انظر: المصدر السابق ص 133.

⁽⁴⁾ انظر: المصدر نفسه ص 183 وص 285 وص 265.

⁽⁵⁾ لقد جرى تعبير العامة في البيئة السودانية على جمع خُلوة خَلَاوِي وخَلَاوِي والصحيح "خُلُوتْ؛ لأنها جمع خُلوة على وزن فَعْلَة مثل فُلُوة فُلُوت وقد نبه على هذا الخطأ الأستاذ الدكتور أحمد محمد إسماعيل البيلي في أرجوزته المسماة "الدائعة في الأخطاء الشائعة" مشيراً إلى تصحيح هذا الجمع بقوله:

وتعرف في أغلب دول العالم العربي والإسلامي بالكاتاتيب جمع كَتَّاب، وتعرف في الجزائر بالزوايا جمع زاوية، وفي مرويتانيا بالمحاضر جمع محضرة.

فالخلوة: من خَلَا يَخْلُو خُلُوًّا أَوْ خَلَاءً، وَأَخْلَى: إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ أَحَدٌ وَلَا شَيْءٌ فِيهِ وَهُوَ خَالٍ، وَخَلَا الشَّيْءُ بِمَعْنَى فَرَّغَ، وَمِنْهُ: أَخْلَ أَمْرَكَ وَأَخْلَ بِأَمْرِكَ، أَيِ تَفَرَّدَ بِهِ وَتَفَرَّغَ لَهُ، وَمِنْهُ: اسْتِخْلَاءُ الْمَسْجِدِ وَتَسْتَخْلِي بِهِ، أَيِ تَسْتَخِلُ بِهِ وَتَتَفَرَّدُ، وَخَلَى عَلَى الشَّيْءِ اقْتَصَرَ عَلَيْهِ ⁽¹⁾ وَخَلَا إِلَيْهِ. اجتمع معه في خلوة ⁽²⁾. وقد أخذ شيوخ السودان هذه المعاني وسموا بها مدارس تحفيظ القرآن لأن شيخ الخلوة يختلي فيها بتلاميذه الذين يعلمهم القرآن كتابة وقراءة وحفظاً وهو في أثناء ذلك يختلي بهم عن سواهم ⁽³⁾ فهي تسمية محلية خالصة خاصة بأهل السودان. وأماكن بعض الخلوات يدل على هذه التسمية؛ لأن كثيراً من المشايخ ترك المدن وذهب للأرياف ليختلي بطلابه ويعلمهم القرآن، وإن كان الناس قد لحقوا بتلك الخلوات وسكنوا حولها حباً للقرآن وأهله فكانت محوراً لقيام كثير من القرى والمدن فنمت وعمرت وسميت بأسماء شيوخ تلك الخلوات، وقبلهم كانت بيئة طاردة كما فعل الشيخ محمد أبوصالح الذي تنقل في كثير من مناطق الريف وأنشأ خلوات إلى أن استقر به المقام في مكان

وَلَا تَقُلْ فِي خُلُوتٍ خَلَاوِي تَقْبِسُهَا جِهْلًا عَلَى فُتَاوِي وَلَا تَقُلْ فِي جَمْعِهَا خَلَاوِي تَقْبِسُهَا جِهْلًا عَلَى فُتَاوِي
فَإِنَّ فِي الْقَامُوسِ لَفْظُ فُتَاوِي وَلَيْسَ فِي الْقَامُوسِ لَفْظُ خَلَاوِي

انظر: الإمام: أ. د. أحمد علي: الخلوة والعودة للخلوة: ص 14 دار السداد للطباعة، والزاكي: د. مأمون عبد الرحمن: سبل تطوير المؤسسات القرآنية في السودان مجلة بصائر ص 50 دار بصائر للطباعة والنشر.

⁽¹⁾ ابن منظور: محمد بن مكرم الانصاري الخزرجي: لسان العرب 14/137-143 الطبعة الأولى دار الفكر بيروت.

⁽²⁾ الرازي: محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح: ص 145 دار العلم للجميع بيروت لبنان.

⁽³⁾ البيلي: القرآن في السودان: ص 119 مصدر سابق

الخلوة الحالي (خلوة ود أبي صالح) الذي يبعد عن أم درمان أكثر من مائة كيلومتر تقريباً مع صعوبة الحركة والتنقل ووعورة المكان وشظف العيش في تلك الأيام، ولكن عزم الرجال وحملهم هم الأمة وآمالهم في تمكين القرآن وبقينهم فيما عند الله كانت العوامل الأساسية في تغيير وجه المنطقة التي صارت حاضرة للخدمات التعليمية والصحية وغيرها فصارت حاضرة بعد أن كانت نائية وكل ذلك جاء تبعاً لنور القرآن وهدايته.

" ويرى المشايخ أن الطالب المجتهد يحرص على الوصول إلى هذه الأماكن البعيدة، ومجيئه هنا دليل على صحة عزمه وإنقطاعه للدرس والتحصيل" (1) والخلوات كبرى وصغرى:

فالصغرى تكون لأبناء الحي الواحد من التلاميذ وقد يكون في الحي الواحد أكثر من خلوة كخلوات أحياء أم درمان كما سيأتي. وقل أن تخلو قرية من قرى السودان من وجود خلوة صغرى.

وتتميز الخلوات الصغيرات في الحي أو القرية بقرب الطلاب من أهلهم وإمكانية جمعهم بين حفظ القرآن والدراسة النظامية وعدم الالتزام بالإنفاق عليهم ومثلها الحلقات والمراكز ودور المؤنات التي تستهدف النساء من طالبات وموظفات وربات بيوت (2).

والكبرى لا بد أن تتوافر فيها ثلاثة أشياء:

(1) الطيب: المسيد: ص 297 مصدر سابق.

(2) انظر الزاكي: سبل وتطوير المؤسسات القرآنية في السودان: ص 61 مصدر سابق.

1. بناية كبيرة تسمى "القرآنية" أو "الجامعة" يجتمع فيها الطلاب للحفظ وبداخلها مكان مخصص لوضع الألواح.

2. مسجد جامع للصلاة.

3. مساكن وإعاشة للطلاب الوافدين من خارج القرية أو المدينة التي بها الخلوة. فإذا اجتمعت هذه الثلاثة سميت خلوة كبرى وتسمى مسيداً كذلك⁽¹⁾. وكلمة "المسيد" تعني المسجد بقلب الجيم ياء، ومن العرب من لا يزال ينطقها كذلك⁽²⁾ ومما يساعد على قلب الجيم ياء أن مخرجهما واحد حيث إن مخرج "الجيم والشين والياء" هو وسط اللسان بينه وبين الحنك الأعلى، وتسمى هذه الحروف شجرية؛ لأنها تخرج من الشجر وهي عند الخليل مخرج الفم وعند غيره مجمع اللحيين⁽³⁾.

قال الإمام ابن الجزري في مقدمة طبيته:

أَسْفَلُ وَالْوَسْطُ فَجِيمُ الشَّيْنِ يَا وَالضَّادُ مِنْ حَاقَتِهِ إِذْ وَلِيَا⁽⁴⁾

والغالب أن كلمة "المسيد" تلقفها أهل السودان من أفواه المشايخ الذين توافدوا عليهم في وقت مبكر من الحجاز واليمن ومصر والمغرب وأسسوا المساجد فنطقوها المساييد.⁽¹⁾

⁽¹⁾ الطيب: المسيد: ص 73 مصدر سابق.

⁽²⁾ انظر: الإمام: الخلوة: ص 15 مصدر سابق.

⁽³⁾ انظر: ابن الجزري: أحمد بن محمد المعروف بابن الناظم: شرح طيبة النشر في القراءات العشر 116/1 تحقيق شعبان محمد إسماعيل المكتبة الفيصلية.

⁽⁴⁾ انظر: ابن الجزري: محمد بن محمد: طيبة النشر في القراءات العشر: ص 35 مكتبة دار الهدى بالمدينة المنورة ضبطه وصححه وراجعته محمد تميم الزعبي.

وقد انتشرت الخلوات الكبرى في كل ولايات السودان فانتشرت رواية الدوري عن أبي عمر والبصري، ورواية ورش عن نافع، ورواية حفص عن عاصم، وتعتبر رواية الدوري هي الرواية الأولى في السودان من حيث عدد الخلوات والحفاظ، وهي سائدة في كل ولايات السودان عدا ولاية غرب دارفور والولاية الشمالية خاصة منطقة دنقلا فتسود فيهما رواية ورش عن نافع، وعدا ولايتي البحر الأحمر وكسلا فغالب الخلوات فيهما تدرس برواية حفص عن عاصم. ولكن التنافس على أشده بين ولايات الخرطوم والجزيرة وشمال كردفان وكسلا في عدد الخلوات ومن ثم تخرج الطلاب؛ لأن هذه الولايات بها خلوات تضم الآلاف؛ فمثلاً ولاية الخرطوم بها خلوة ود أبي صالح، وولاية الجزيرة بها خلوة ود الفادني، وولاية شمال كردفان بها خلوة أبي عزة، وولاية كسلا بها خلوة علي بيتاي.

أما الخلوات التي أنشأت في القرن الرابع عشر الهجري فقد بدأها الخليفة عبد الله بن محمد التعايشي بإنشاء خلوات في مسجده بمدينة أم درمان العاصمة الوطنية للدولة المهدية فقد ثبت:

"في يوم الأربعاء أول محرم سنة 1303هـ وبحضرة الخلفاء والأمراء بدء قراءة القرآن بأربعة آلاف وخمسمائة لوح"⁽²⁾. واستمرت تلك الخلوات وحفظ بها الكثيرون إلى أن جاء الغزو الإنجليزي فاضطربت الدراسة وتقلصت لنيف وستين حلقة

⁽¹⁾ انظر: الطيب: المسيد: ص 73 مصدر سابق.

⁽²⁾ عدد الألواح يدل على عدد الطلاب؛ لأن كل طالب يصرف له لوح معد من خشب الأشجار ليكتب عليه.

دراسية تلاوة وحفظاً⁽¹⁾. ولكنها بالرغم من ذلك ظلت الإرث الباقي من الدولة المهدية الإسلامية التي تخرج قائدها وخلفاؤه والمجاهدون والفرسان فيها. وظل تأثيرها بالغاً في سكان أم درمان حتى سارع الشيوخ والوجهاء الأخيار إلى إنشاء خلوات بأحياء تلك المدينة ففتحوا في حي ود نوباوي سبع خلوات، وحي الهجرة خمساً، ومثله حي الموردة، وحي بيت المال أربعاً، ومثله حي أبي روف، وحي ود أروثلاثاً، ومثله حي الركابية، وحي سوق الشجرة، وحي القلعة اثنتين، وحلقة واحدة في كل من حي شارع كرري، وحي البوسطة، وحي الشهداء، وحي السوق شمال، وحي السوق الكبير، والجامع الكبير، وحي سوق الأربعاء، وحي ريد، وحي العصاصير، وحي المكي، وحي أبي كدوك، وحي العباسية، وحي ود البنا.⁽²⁾ ليصل العدد إلي خمسين خلوة في مدينة لم تكن كبيرة كما هي الآن. وظلت قائمة حتى 1940م ومنها ما هو قائم حتى الآن وقل أن تجد إنساناً فوق الأربعين لم يدرس فيها.⁽³⁾ وحفظ فيها كثير من الأعلام كالشيخ محمد المبارك عبد الله⁽⁴⁾ الذي يذكر تلك الأباطح والربي فيقول:

(1) انظر الطيب: المسيد: ص 276 مصدر سابق.

(2) انظر المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(3) انظر الطيب: المسيد: ص 276 مصدر سابق.

(4) مدير إدارة التعليم الديني بالسودان وشيخ علماء السودان وعميد كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف له كتاب "مع التعليم الديني في السودان" توفي بأم درمان يوم الجمعة 1990/3/9م ومما قاله في رثائه الأستاذ الدكتور أحمد محمد إسماعيل البيلي:

أرضيته أم جُرْتُ في إغْصَابِهِ
وَبَكَي الزَّمَانُ عَلَيْهِ يَوْمَ غِيَابِهِ

كان الفضيلة ليله ونهاره
عَبَر المكان فَعَطَّرَتْ أَرْجَاؤُهُ

وَإِنْ أَنْسَ لَا أَنْسَ الْأَبَاطِحَ وَالرُّيَّ
عَلَى كَنْبٍ مِنْهُ وَفِي جَنْبَاتِهِ
نَذَرْتُ لَهُ عُمْرِي طَلَاباً وَخِدْمَةً
وَأَلْزَمْتُهُ وَفْتِي عَشِيًّا وَبُكْرَةً
وَجِسْرًا يُدَانِي سَاحِلَ النَّيْلِ سَاحِلُهُ
حَفِظْتُ كِتَابَ اللَّهِ جَلَّتْ دَلَالَتُهُ
فَأَزْهَى الصَّبَا مِنْهُ وَحَقَّتْ مَخَايِلُهُ
فَطَابَ الضُّحَى مِنْهُ وَعَزَّتْ أَصَائِلُهُ⁽¹⁾

وكانت الدولة المهدية تعنى عناية فائقة بالخلوات وشيوخها وتصرف لهم المرتبات الكبيرة وتعفيهم من الالتحاق بالجيش إيماناً بدورهم العظيم⁽²⁾. ولم يكن قيام الخلوات في ذلك القرن حكراً على مدينة أم درمان وحدها بل عم كل مدن وقرى السودان وكان للبدو الرحل نصيب كبير من تلك الخلوات، خاصة أن هذا القرن ابتليت فيه الأمة بتدنيس أرضها من قبل الاحتلال الإنجليزي البغيض الذي حارب الخلوات وحرّم حفاظ القرآن من التعيين في الدوائر الحكومية⁽³⁾ فهب أهل السودان وأقاموا الخلوات حفاظاً على دينهم.

(ويعد الشيخ علي صالح حمد حسن الدسيس من أبرز شيوخ البدو الرحل وكان نشاطه حوالي 1335هـ ببادية البطانة الدسيساب المغاربة التابعة لعمودية العمدة فج النور حسن)⁽⁴⁾.

انظر: الإمام: الخلوة: ص 125 مصدر سابق.

⁽¹⁾ انظر المصدر السابق ص 126.

⁽²⁾ انظر الطيب: المسيد: ص 280 مصدر سابق والبيلى: القرآن في السودان منذ فجر الإسلام وحتى اليوم ص 120 مصدر سابق.

⁽³⁾ انظر: المصدر نفسه ص 120.

⁽⁴⁾ أنظر الطيب: المسيد: ص 308 مصدر سابق.

فالشيخ علي يرحل ويجوب مع أهله أطراف ولاية الخرطوم، وولاية الجزيرة، وولاية القضارف، وولاية كسلا، وولاية نهر النيل⁽¹⁾ في ثلاث رحلات في السنة تسمى: الخريف، الدَّرت، الصيف.

أ. الخريف: الذي يبدأ مع تباشير الغيث في نوء يعرف بالذراع في السابع من شهر يوليو من السنة الميلادية فينبت الكلاً فيتبعونه مع ماشيتهم لترعاه إلى أن يستوي فيضربون خيامهم لمدة ثلاثة أشهر أو تزيد.

ب. الدَّرت وهي تسمية محلية، ما بين الخريف والشتاء حيث تتضج الثمار وقد يطول أو يقصر علي حسب تقلبات الرياح.

ج. الصيف تسمى رحلة الدَّمر وتعني كلمة الدَّمر الفترة التي يمضيها البدو لرحل علي الآبار والمناهل الثَّابتة كالحفير والأضاة.⁽²⁾

وحفظ في هذه الخلوة من أسرة واحدة حاج علي الأمين صالح، وإبراهيم الأمين صالح، وعبد الله الأمين صالح، وإبراهيم حاج علي الأمين صالح. وبعد رحيل الشيخ علي خلفه عليها أحد طلابه وهو إبراهيم حاج علي المذكور آنفا ولكن قل نشاطها الآن.

ومن الخلوات الكبيرة التي أسست في القرن الرابع عشر الهجري خلوة الشيخ محمد أحمد أبوعزة في ولاية شمال كردفان فقد أسسها الشيخ المذكور عام 1366هـ وقد خرجت الآلاف من الطلاب ولا زالت وبها الآن ما يقارب الستة

⁽¹⁾ هذه الولايات تطل علي أرض البطانة من جميع الجهات.

⁽²⁾ أنظر المصدر السابق ص 307.

الآلاف طالب ويشرف عليها الشيخ المؤسس نفسه نسال الله أن يحفظه ويبارك في أيامه.

ومن الخلوات التي أنشأت في القرن الرابع عشر الهجري، و ظل عطاؤها باقيا إلي يومنا هذا خلوة الشيخ علي بيتاي بهمشكوريب ولاية كسلا بشرق السودان فهذه الخلوة أنشأها الشيخ علي بيتاي عام 1342هـ الموافق 1951م⁽¹⁾ وسرعان ما انتشرت بفروعها في قرى المنطقة ثم تخطتها إلي ما ورائها فظهر ضوؤها في شرق السودان بولاياته الثلاث كسلا، والبحر الأحمر، والقضارف، ثم عم ضياؤها وغمر كل أنحاء السودان⁽²⁾.

وتتميز الخلوة الأم بهمشكوريب بقسمي الرجال والنساء صغارا وكبارا ففي قسم الرجال الآن ثمانية آلاف طالب من مختلف أنحاء السودان ومن عدة دول كإريتريا وأثيوبيا وأوغندا وأفريقيا الوسطي وتشاد. وفي قسم النساء ما يقارب الثمانية آلاف طالبة من منطقة همشكوريب يتنافسن في حفظ القرآن ويتميز قسم النساء في هذه الخلوة بالإضافة إلي حفظ القرآن بمعرفة علم الفرائض معرفة تامة، هذا العلم الذي أمر الرسول صلي الله عليه وسلم بتعلمه وتعليمه وبين أنه نصف العلم وهو أول علم ينتزع، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه

⁽¹⁾ انظر: الطيب: المسيد: ص265 مرجع سابق وبيتاي الشيخ علي: الهداية إلي الطريق المستقيم ص63.

⁽²⁾ المرجع نفسه والصفحة نفسها.

وسلم "تعلموا الفرائض وعلموها الناس فإنها نصف العلم وهو ينسي وهو أول شيء ينتزع من أمتي" رواه ابن ماجه. (1)

فهذه الخلوة ذات الفروع المنتشرة في كل أنحاء السودان منذ تأسيسها وإلي الآن خرجت الآلاف من الرجال والنساء من الكبار والصغار بروايتي **أبي عمر الدوري** عن **أبي عمرو البصري**، وحفص عن **عاصم الكوفي**، ولم يقل نشاطها طيلة تلك الفترات منذ 1342هـ إلي يومنا هذا عام 1434هـ حتى عندما اعتقل مؤسسها ثم نفي إلي حلفا القديمة بشمال السودان لمدة سنتين من 1954م-1956م أيام الإنجليز⁽²⁾. وتحفظ عليه للأسف من 1956م-1960م في الخرطوم أيام الأحزاب وفي بداية حكومة الفريق إبراهيم عبود. (3) وبعد فترة الاعتقال والنفي عاد فواصل المسيرة المباركة في افتتاح الفروع في مناطق السودان المختلفة. وفي بداية السبعينات من القرن الميلادي الماضي زار الرئيس **جعفر محمد نميري** منطقة همشكوريب وخلوتها كما يقول الشيخ علي بيتاي في كتابه "الهداية إلي الطريق المستقيم"

"ومن الزيارات الخالدة التي لها وقع طيب في نفسي وفي نفوس المواطنين جميعا بمنطقة همشكوريب وما جاورها تلك الزيارة التي قام بها السيد الرئيس **القائد جعفر محمد نميري** متفقدا فيها أحوال المواطنين وأماكن تدريس القرآن الكريم والتي دلت

(1) ابن ماجه: محمد بن يزيد: سنن ابن ماجه ج2 ص908 كتاب الفرائض، باب الحث علي تعلم الفرائض. دار إحياء الكتب العربية فيصل عيسى البابي الحلبي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

(2) انظر: بيتاي: الهداية: ص20 مصدر سابق.

(3) انظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها

دلالة واضحة على اهتمامه بآماكن القرآن والمساجد ودلت على صدق إيمانه وقوة دينه وشدة تمسكه برفع شأن الدين وقد كانت فاتحة خير للمنطقة فجاءه الله عنا خير الجزاء ووفقه لصالح الأعمال". (1)

وهكذا استمر هذا العمل المبارك بقيادة الشيخ علي بيتاي إلي أن توفاه الله في يوم الاربعاء 1978/9/1م. (2) فخلفه علي الخلاوة شقيقه الشيخ طاهر بيتاي فواصل العطاء إلي أن رحل في عام 1983م فخلفه الشيخ سليمان علي بيتاي ابن الشيخ المؤسس فظل يشرف عليها إلي الآن أسأل الله أن يمد في عمره. وفي خلافة الشيخ سليمان جاءت حكومة الرئيس عمر حسن أحمد البشير فأولت هذه الخلاوة كغيرها من الخلاوات اهتمامها البالغ فأسهمت في إعاشة الطلاب، وادخالهم تحت مظلة التأمين الصحي، وعينت من يتخرج من الحفاظ بمرافق الدولة المختلفة بالدرجة الوظيفية الجامعية (3). كما أعفت حافظ القرآن من الرسوم الدراسية إذا قبل بالجامعات الحكومية، أو الأهلية، أو الخاصة. أما حافظ القرآن الذي يحصل علي شهادة البكالوريوس فإنه يأخذ الأولوية على كافة الخريجين في الوظائف العامة المتاحة لكل خريج مثل وظائف ضباط القوات المسلحة وضباط الشرطة والقوات النظامية الأخرى.

(1) انظر: المصدر نفسه ص 80. 4

(2) انظر: المصدر نفسه ص 84، والطبيب: المسيد ص 267 مصدر سابق.

(3) انظر: الإمام: الخلاوة ص 123 مصدر سابق، والبيلي: القرآن في السودان منذ فجر الإسلام حتى اليوم ص 125 مصدر سابق.

وكان الرئيس **جعفر محمد نميري** قد أنشأ عددا من معاهد القراءات وكلية للقرآن الكريم بأم درمان، فجاء الرئيس البشير فزاد عدد معاهد القراءات وطور كلية القرآن الكريم إلي جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، وأنشأ كلية أخرى للقرآن الكريم بولاية الجزيرة طورت لاحقا إلي جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم بالولاية المذكورة؛ ليواصل حافظ القرآن تعليمه الجامعي وفوق الجامعي.

كما أنشأ الرئيس **جعفر محمد نميري** مهرجانا سنويا للمسابقة في حفظ القرآن عام 1974م لتقام المسابقات بالمحليات في الولايات ثم تصعد كل ولاية الأول والثاني والثالث للمنافسة علي مستوي الجمهورية في الخرطوم لتنتهي التصفية النهائية بها وتعطي جوائز كبيرة للعشرة الأوائل واستمر هذا المهرجان إلي يومنا هذا مع تعديل في يومه الختامي ليكون كل عام بولاية من ولايات السودان حتى تحتفل بهذا الحدث الكبير والشرف العظيم. ⁽¹⁾ وأنشأ الرئيس **البشير** جائزة عالمية للقرآن الكريم باسم جائزة الخرطوم الدولية ليتنافس عليها حافظ القرآن من مختلف دول العالم.

فما ذكرته هنا من الخلوات قليل من كثير وقطر من فيض فهو علي سبيل المثال لا الحصر وذلك لطبيعة هذا البحث.

المبحث الثالث: أبرز شيوخ هذه الخلوات

إن هذه المدارس "الخلوات" التي عمت كل أرجاء السودان قام بإنشائها والمحافظة عليها ورعايتها والسعي علي استمرارها شيوخ كرام أعلام كثر كلهم

⁽¹⁾ انظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها.

بارزون أفنوا أعمارهم المباركة في خدمة كتاب الله وسأذكر أربعة منهم علي سبيل المثال لا الحصر أملا أن يكون ما ذكر ينوب عن مالم يذكر وذلك لطبيعة هذا البحث.

* الشيخ البدوي الشيخ محمد (الأمين أبو صالح):

ولد عام 1930م وحفظ القرآن وهو فتى غض الإهاب وأخذ العلم علي شيوخ السودان الكبار منتقلا بين أم درمان حيث الشيخ مجذوب مدثر الحجاز، والشيخ يوسف إبراهيم النور، والريحانة حيث الشيخ عبد النور، ومسيد ود عيسي علي مجموعة من العلماء، و نهل من علمهم الكثير فكان حبرا في علوم الشريعة،⁽¹⁾ ثم عاد إلي خلوته "ود أبي صالح، شرق الخرطوم وجلس يقرئ القرآن قرابة ستين عاما متحملا أعباء معيشة وكساء وإيواء آلاف من الطلاب من مناطق السودان المختلفة ومن دول أفريقية مجاورة يشرف علي المشاريع الزراعية التي تحيط بمنطقة الخلاوة يزرعها مع طلابه في فصل الخريف ليعود ريعها عليهم وعلى ضيوف الخلاوة وعلى الفقراء من قري كثيرة تقرب أو تبعد عن الخلاوة موزعا أعباء الزراعة على الطلاب بخطة إدارية محكمة حتى لا يتأثر برنامج الحفظ الذي يبدأ من الساعة الرابعة صباحا إلي الساعة العاشرة مساء تتخلله فترات قليلة لأداء الصلوات والقبلولة وتناول الطعام في كل أيام الأسبوع عدا الخميس والجمعة يساعده في الحفظ مساعده الأيمن الشيخ محمد علي الخليفة الذي ظل يقرئ القرآن أكثر من أربعين سنة وإلي الآن مع مساعدة الطلاب المتقدمين " عرفاء جمع

⁽¹⁾ انظر: الأمين: د. إدريس علي: الإمامة الصغرى لدوري أبي عمرو ص 371 مجلة كلية القرآن الكريم بالسودان: العدد الأول نوالحجة 1427هـ ديسمبر 2006م، مطبعة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية السودان.

عريف" فكل طالب متقدم في الحفظ يشرف علي مجموعة من الطلاب المستجدين وقد راعي في نظام التوزيع التوافق والتقارب والتجانس لحالة الطلاب الاجتماعية فبعضهم قدم من مناطق رعوية وبعضهم من مناطق زراعية وبعضهم من خارج السودان⁽¹⁾ وقل أن يقصر عريف فيما كلف به؛ لأن الشيخ يتعهد بالسماع إلي قراءة كل طالب أوكله إلي عريف مع تفاوت نسب ذلك الاستماع؛ فحفظ على يد الشيخ أعداد كبيرة من الطلاب منهم من التحق بالمعاهد العلمية ومعاهد القراءات ومنهم من التحق بالمساق الأكاديمي العام والكل قد حاز أرفع الدرجات العلمية من الجامعات السودانية وغيرها في تخصصات مختلفة فأسهموا في خدمة المجتمع.

أما آخر الأسبوع يومي الخميس والجمعة فيجامل الناس في أفراحهم وأتراحهم متفقدا لأحوالهم، مساعدا في حل مشاكلهم وما يشجر بينهم من نزاعات وخصومات حكما عدلا يجد القبول من جميعهم. وظل هكذا من تحفيظ للقرآن ورعاية طلابه إلي مخالطة عامة الناس والصبر على أذاهم إلي أن توفاه الله في يوم الأربعاء 1427/10/26 هـ الموافق 2007/11/7م.

* الشيخ علي صالح حمد حسن الدسيس:

شيخ الخلوة المتجولة في منطقة البطانة التي أنشأها أخوه حاج الأمين صالح وأنفق عليها إنفاق من لا يخشى الفقر وأكرم طلابها وأتحف زوارها حتى قيل عنها إنها أفضل الخلوات بالسودان؛ لأن صاحبها حملها علي جماله وأنفق عليها

⁽¹⁾ انظر: الطيب: السيد: ص 60 مصدر سابق.

من ماله⁽¹⁾ فالشيخ علي بالإضافة إلي تحفيظ القرآن، كان فقيها يرجع إليه في الفتاوى، وطبيباً يعالج بالقرآن، وواسطة خير لما شجر بين القوم، وصاحب كلمة ينصاع إليها عندما ينشب الخلاف بينهم⁽²⁾.

كما كان يخط المصاحف، ويحتفي بكتابتها معطرا المكان بالبخور والعطور مبرزا جلالة القرآن وجماله وهيبته في النفوس، وقد كان لهذا الأثر البالغ في قومه بالبطانة مما جعلهم يلتزمون الشريعة في سلوكهم وتعاملهم، ومصاحفه عرفت بقوة الآية وهو تعبير يطلق في السودان علي المصحف الذي يذكر فيه الفردة والحرفان وبعض الرجز الإحصائي للمتشابه بما يقوي حفظ الطالب ويميز إتقانه مثل:

أَعْيُنُهُمْ بِالْفَتْحِ لَنْ أَزِيدَ فِي الْمَائِدَةِ وَأَفْتَرَبَتِ الْبَعِيدَةِ

ومثل:

وَقَاطِرًا بِالنَّصْبِ يَا خَلِيلِي فِي سُورَةِ الصِّدِّيقِ مَعَ تَنْزِيلِ

ومثل:

إِنَّنَا فِي هُودِ الْجَلِيلِ تَدْعُونَنَا فِي سُورَةِ الْخَلِيلِ

⁽¹⁾ قال هذه العبارة الخليفة حسب الرسول ود بدر أحد المصلحين الكبار في السودان والعبارة متداولة معروفة عند أهل شرق النيل والبطانة.

⁽²⁾ انظر: الطيب: المسيد: ص308 مصدر سابق.

ومثل:

الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ فِي الْقُرْآنِ فِي زُحْرَفٍ وَالذَّارِيَاتِ الثَّانِي

ومثل:

فَأَقْبَلَ بِالْفَاءِ خُذْ تَبَيَّنِي فِي نُونِنَا وَقَبْلُ فِي الْيَفْطِينِ

وهكذا أسهم الشيخ بهذا الجهد المبارك في تمليك الطلاب للمصاحف في وقت لم تكن فيه المصاحف متوافرة كالיום بعد قيام مجمع الملك فهد للمصحف الشريف بالمدينة المنورة، ومصحف إفريقيا بالخرطوم، خاصة روايتي الدوري عن أبي عمرو وورش عن نافع، وكان المصحف الواحد يوزع علي كثير من الطلاب لاسيما وأن طريقة أفراد أوراقه يساعد علي ذلك وكذلك تفاوت مستويات الطلاب فهم في سور مختلفة حسب الطريقة في الخلوة التي تعتبر كل طالب فصل قائم بذاته. وكان الكثير من الشيوخ يقومون بكتابة المصاحف مثل: الشيخ آدم الحلاوي بولاية الجزيرة الذي كتب أكثر من مائة مصحف وكان متقناً خطاطاً بارعاً⁽¹⁾ والعرف السائد في الخلوات أن الطالب الخريج صاحب الخط الجيد يكلف بكتابة مصحف وإهدائه للخلوة التي حفظ بها.⁽²⁾ وظل الشيخ يواصل نشاطه وعطاءه إلي أن رحل إلي رحمة مولاه في العام 1968م.

⁽¹⁾ انظر: عبد الله: أ. د علي العوض: رسم القرآن الكريم في المصاحف السودانية: ص 76مجلة كلية القرآن الكريم العدد الأول مصدر سابق.

⁽²⁾ انظر: الطيب: المسيد ص60مصدر سابق.

* الشيخ علي بيتاي:

ولد في يوم الأربعاء 1930/9/21م بمنطقة همشكوريب ولاية كسلا في شرق السودان⁽¹⁾ وفي عام 1342هـ الموافق 1951م أنشأ الخلاوة الأولى في المنطقة المذكورة ثم توالي على يديه إنشاء الخلاوات في كل أنحاء السودان، ولم يحل بمكان إلا وأنشأ بها خلاوة، وكان الناس يطلبونه لإلقاء الوعظ والتوجيه فيوصيهم بسبعة أشياء:

1. التوبة النصوح.
 2. صلاة الجماعة ولو اثنين.
 3. استقرار البدو الرحل.
 4. قراءة القرآن الكريم شيئا وشبابا رجالا ونساء مع معرفة أمور دينهم.
 5. التسامح فيما حصل بينهم في الماضي.
 6. عدم التفرقة بين المسلمين.
 7. معرفة طرق المعيشة لكسب الرزق الحلال والاعتماد علي النفس ومعرفة العصر وقوانينه وعدم الاصطدام مع السلطة.⁽²⁾
- لقد أحدث الشيخ علي بيتاي تحولا هائلا في حياة وسلوك أهل هذه المنطقة فأقام مجتمع القرآن فجمعهم بعد فرقة وعلمهم بعد جهل.

⁽¹⁾ انظر: بيتاي: الهداية إلى الطريق المستقيم: ص17 مصدر سابق.

⁽²⁾ انظر المصدر السابق ص76.

يقول الأستاذ الطيب محمد الطيب: ⁽¹⁾ عاد الشيخ إلى همشكوريب وازدهرت فيها الحياة القرآنية والإصلاحية وشاهد الناس أمامهم مجتمعا خاليا من الجريمة لأنه نبذ ما يقود إلى الجريمة من سرقة وخمر وزنا وقمار وكل ما يقود إلى إتلاف المال والصحة فأقلع مجتمعا عن المحرمات المتعارفة فيه كالسجائر والتبغ فتوقف التجار عن استجلابهما وبيعها في حوانيتهم وخلت شوارع همشكوريب من الشرطي والخفير؛ لأن إنسانها أصبح رقيقا على نفسه وبعيدا عن الجريمة. ⁽²⁾

وكان جهاد علي بيتاي قائما على تعليم القرآن وحول مائدة القرآن بسط دعوته الإصلاحية واستطاع أن يجلس ألد القبائل خصومة مع أعدائهم بالأمس وأن يزيل ما بين القبائل من أحقاد وثرارات وأن يمحو الكثير مما يتمسك به المجتمع من اختلافات في الجنس واللسان واللون. ⁽³⁾

واستطاع الشيخ بخلواته المنتشرة في المنطقة أن ينقل أهلها من الرحيل إلى الاستقرار ومن الهمجية إلى الحضارة ومن ظلام الأمية إلى نور القرآن ومن التخلف إلى العلم. وقد كان موفقا في ندائه لكل المصلحين لمعاونته في هذا الجهد الكبير قائلا: "أناشدكم أيها العلماء والصلحاء والعاملون لخير الإسلام أن تسعوا معي للاستفادة من هذه النفوس البشرية المهيأة لقبول الإرشاد والتوجيه والتنوير

⁽¹⁾ الطيب محمد الطيب: باحث سوداني له مجموعة مؤلفات منها: كتاب المسيد، ومجموعة برامج تلفزيونية منها: صور شعبية.

⁽²⁾ انظر: الطيب: المسيد: ص 266 مصدر سابق.

⁽³⁾ انظر: الطيب: المسيد: ص 267 مصدر سابق.

بنور القرآن والسير علي سنة الرسول صلي الله عليه وسلم بهذا أحمل إخواني العلماء مسؤولية ذلك أناشدكم بالله أيها العلماء أن تقبلوا علي توجيه إخوانكم⁽¹⁾.

فأثمرت تلك الجهود وحفظ القرآن أعداد هائلة من الطلاب والتحقوا بمعاهد القراءات ثم الجامعات الإسلامية بالسودان والمملكة العربية السعودية ومصر وهم الآن حملة درجات عليا من تلك الجامعات⁽²⁾.

وهكذا أثمرت تلك الجهود المباركة لذلك الشيخ المبارك الذي رحل رحيلًا مشرفا في يوم 1978/9/18.⁽³⁾

* الخليفة حسب الرسول محمد بدر:

كان أحد خلفاء الشيخ محمد بدر صاحب الخلوة الدائنة الصيت "أم ضوأ" بان" ويعد من أمهر قادة التدريس فقد آلت إليه الخلافة من عام 1322هـ- 1349هـ⁽⁴⁾ وقد أحدث تحولا هائلا في الخلوة فحفظ عليه كثير من الأعلام مثل الشيخ يوسف إبراهيم النور شيخ علماء السودان كما عرف بالجهاد فقد كان أحد القواد في المعركة المشهورة بين أهل المنطقة وبين الجيش الإنجليزي الغاشم في موقعة الكرنوس في سبتمبر 1884م⁽⁵⁾ وانتصر فيها الخليفة وجيشه انتصارا باهرا وكانت قاصمة الظهر للجيش الإنجليزي؛ لأنها مهدت لفتح الخرطوم.

⁽¹⁾ انظر: المصدر السابق ص 269 وبيتاي: الشيخ علي: الهداية إلى الطريق المستقيم: ص 56 مصدر سابق.

⁽²⁾ انظر المصدر السابق ص 269.

⁽³⁾ انظر المصدر نفسه ص 267.

⁽⁴⁾ انظر: الطيب: المسيد: ص 291 مصدر سابق.

⁽⁵⁾ انظر المصدر نفسه ص 295.

وللخليفة حسب الرسول كثيرا من المآثر مما جعل الشعراء يكتبون فيه الشعر ومنه هذه القصيدة⁽¹⁾

يَا عَابِدًا سَهْرَ الدُّجَى	وَالنَّاسُ غَرَقَى فِي الْمَنَامِ
أَنْتَ الْكَرِيمُ ابْنُ الْأَكَارِمِ	وَالْإِمَامُ ابْنُ الْإِمَامِ
يَا ابْنَ مَنْ هَرَمَ الطُّغَاةُ	بِسِرِّ رَبِّهِ وَالْحِسَامِ
ذَكَرْتُ مَوَاقِعَ جَحْفَلٍ	يَعْلُو سَنَاها فِي الْغَمَامِ
بِالشَّرْقِ أَشْعَلَهَا بَنُوهُ	مُكَبِّرِينَ بِلَا سِقَامِ
دَحَرُوا الْعُدَاةَ الْكَافِرِينَ	لِأَجْلِ دِينٍ لَا يُضَامِ
أَشْعَلَتْ لِلْقُرْآنِ نَارًا	لَا تَكْفُ عَنِ الضَّرَامِ
نَارٌ تُبَدِّدُ جَهْلَهُمْ	وَالْجَهْلُ أَشْبَهُ بِالظَّلَامِ
وَجَمَعَتْ طُلُوبًا مِنَ الشَّيْخِ	الْكَبِيرِ إِلَى الْغُلَامِ
وَجَلَسَتْ تَتَصُّتُ خَاشِعًا	وَالنَّاسُ حَوْلَكَ فِي أَرْحَامِ
مَا بَيْنَ طَالِبِ حَاجَةٍ	يَرْجُو نَدَاكَ وَمُسْتَهَامِ ⁽²⁾

المبحث الثالث: سمات وخصائص هذه الخلوات

لقد تميزت الخلوات السودانية بسمات كثيرة وخصائص عديدة مثل: نظام القبول، والوسائل، والأدوات، والأساليب، واليوم الدراسي، ورعاية الطلاب،

⁽¹⁾ الشاعر إدريس جماع انظر المصدر نفسه ص 296.

⁽²⁾ انظر المصدر السابق ص 296.

واعاشتهم، واجازاتهم، وحفظ الرجز لتسهيل المتشابه اللفظي، ومعرفة الرسم من حذف، وإثبات، وفصل، ووصل. (1)

نظام القبول:

لا يوجد في الخلوات تحديد عمر محدد أو يوم معين للالتحاق بها فهي تقبل الصغير والكبير وفي كل أيام السنة كما لا تعرف حدا لعدد الملتحقين بها ومدة بقائهم فيها.

الوسائل والأدوات:

تحرص الخلوات على وسائل وأدوات محددة في التعليم، وهذه الأدوات كلها من البيئة المحيطة بالخلوة، فنجد اللوح الذي يكتب عليه من خشب الأشجار المتوافرة كالهجليج والحراز والإندراب وغيرها (2).

والحبر الذي يكتب به ويسمونه "العمار" مكوناته الصمغ العربي المسحوق مضافا إليه السواد العالق بحافات القدور فيخلطونه بالماء، فيجعلونه دوائر صغيرة في حجم الهللة ويعرضونه للهواء والشمس ليجف، ثم يضعونه في علب صغيرة تسمى "الدواة" أو "الدواية" تصنع من الفخار أو القرع أو القزاز. (3) ومميزاته سهولة إزالته عند غسل اللوح، وغير سام، وغير مضر بصحة الطلاب. (4)

(1) انظر: الإمام: الخلوة والعودة الخلوة: ص54 مصدر سابق

(2) انظر: الطيب: المسيد: ص87 مصدر سابق.

(3) انظر: المصدر نفسه ص93.

(4) انظر: الزاكي: سبل تطوير المؤسسات القرآنية في السودان: ص56 مصدر سابق.

والقلم يستخدم من سيقان الذرة، أو البوص أو الشمام. (1)

ويوجد حوض لمحي الألواح بارتفاع متر من الأرض يكبر أو يصغر حسب عدد الطلاب وكبر الخلوة، ويعتنون به عناية كبيرة فلا يطؤه أحد ولا تصله سائمة ويتوقعون له الطهارة صيانة لما كان مكتوبا علي الألواح من آيات الذكر الحكيم. (2)

فإذا محي اللوح مسح بالجير الأبيض وهو متوافر في المناطق التي بها ترسب جبيري وحول الآبار والحفائر (3) وفي وسط دائرة عريضة توجد نار الثقابة (4) فقبل دخول الكهرباء يجلب الطلاب الحطب من الغابات فيما يسمى بالفرعة ليقودوا نار الثقابة للقراءة على ضوءها ولغرض التدفئة في الشتاء.

الأساليب المتبع في حفظ:

تتبع الخلوة نظام المدرس الواحد الذي يشرف على عدد كبير من الطلاب قد يبلغ المئات ويساعده "العرفاء جمع عريف" فيقبل الطالب الجديد ويحول إلى أحدهم فيكون له بمثابة الشيخ الأول فيصرف له لوحاً صغيراً ويكتب عليه بنوأة التمر ويأمره أن يمر عليه بالقلم كما يأمره أن يكتب تلك الحروف بسبافته على الرمل والحروف هي:

(1) انظر: المصدر السابق ص90 والإمام: الخلوة ص22 مصدر سابق.

(2) انظر المصدر السابق ص93.

(3) انظر: الطيب: المسيد: ص91 مصدر سابق.

(4) ينطقها أهل السودان بالتاء وهي بالتاء ثقت النار انقدت، وانقدها أوقدها وثقبتها تنقيباً أذكاه وشهاب "ثاقب" أي مضيء والنقوب ما تشعل به النار من ثقاق العيدان، انظر الرازي: مختار الصحاح ص70 مصدر سابق.

المرحلة الأولى:

أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و لا
ي

المرحلة الثانية:

بَ بِ بُ بَ تِ تِ تْ تْ ثِ ثْ ثُ ثُ إلى آخر هذه الحروف التي تنتهي بالياء
يَ يِ يْ يِ يِ يِ

المرحلة الثالثة:

بَ بِ بُ بَ تِ تِ تْ تْ ثِ ثْ ثُ ثُ إلى آخر هذه الحروف التي تنتهي بالياء
يَ يِ يِ يِ يِ يِ

المرحلة الرابعة:

بَ بِ بُ بَ تِ تِ تْ تْ ثِ ثْ ثُ ثُ إلى آخر هذه الحروف التي تنتهي بالياء
يَ يِ يِ يِ يِ يِ

المرحلة الخامسة:

بَا بِي بُوَا تَا تِي تَوْ تَا تِي ثُوَا إلى آخر هذه الحروف التي تنتهي بالياء يَا يِي يُوَا
فينتهي هذه الحروف حفظاً وكتابة متعرفاً على الحركات والسكون والتشديد
والتنوين وحروف المد في خمسة أيام يكون بعد ذلك قابلاً للرمية "الإملاء" فتكتب
له سورة الفاتحة في اللوح في إطار مزخرف جميل يسمى "الشرفة" وسور الشرفة
في الخطوة عشر تبدأ بالفاتحة وتنتهي بالبقرة صعوداً وتعني الاحتفال بالطالب الذي
تشرف بوصوله إلى تلك السورة، فإذا كان الطالب من أهل القرية التي بها الخطوة

يأتي بالشاي واللقيمات التي تعمل من دقيق القمح ليطعم زملاءه وكل من يرتاد الخلوة وهكذا في كل الشرافات إلا البقرة فيذبح شاة.

ثم يبدأ الطالب كتابة سورة الناس بالرمية وهي إن يملأ الشيخ على الطالب الآيات فيتهجأها ويكتبها على اللوح، وبعد فراغه من الكتابة يصححها الشيخ ليتأكد من صحتها وكتابتها وفق الرسم العثماني. ويستمر الطالب من الناس ثم الفلق ثم الإخلاص فصاعدا فإذا أتقن عملية الرمية " الكتابة " ومهر في القراءة حدد له الشيخ المقدار اليومي للحفظ حسب قدراته ونقله من العريف إلى الشيخ الأساس.

المقادير المحددة للحفظ اليومي هي كالتالي:

1. **الخروية:** وهي تسمية محلية وهي نصف الثمن وهذا هو المقدار لأصحاب القدرات المحدودة.
2. **الثلث:** وهو نصف الربع.
3. **المقرة:** هي تسمية محلية "ثمنان" أي ربع الحزب.
4. **الثلث:** وهو ثلاثة أثمان وهو لأصحاب القدرات العالية ولا يسمح بأكثر من ذلك طالبا للإتقان.

اليوم الدراسي:

أيام الدراسة خمسة أيام تبدأ من السبت وتنتهي بالأربعاء، وتوزع الحصص اليومية كالتالي:

1. **الدغشية:** وهي تسمية محلية وهي صغيرة وكبيرة، فالكبيرة قبل الفجر بساعتين ويقرأ فيها الطالب المقدار الذي يكتبه في صباح ذلك اليوم. والصغيرة بعد الفجر

إلى شروق الشمس ويسمع فيها الطالب على الشيخ المقدار الذي يكتبه في صباح ذلك اليوم.

2. الضُحوية: من شروق الشمس إلى الساعة العاشرة صباحاً وفيها يكتب الطالب المقدار الذي يسمعه اليوم التالي ويصححه له الشيخ تصحيح قلم. كما يقرأ الدراسة الجديدة وهي نصف جزء؛ لأن المحفوظ الجديد أشد ثقلًا من المحفوظ القديم.

3. الظهريّة: من صلاة الظهر إلى صلاة العصر: وفيها يقرأ الطالب من اللوح نظراً المقدار الذي يسمعه اليوم على الشيخ ليصحح له الأخطاء اللفظية ويرشده إلى الوقف والابتداء.

4. العصريّة: من صلاة العصر إلى قبيل المغرب وفيه يقرأ الطالب نظراً المقدار الذي يكتبه اليوم التالي على الشيخ ليصحح له الأخطاء اللفظية ويرشده إلى معرفة الوقف والابتداء فيحفظه ويكتبه على لوحه من حفظه في اليوم التالي:

5. المغربية⁽¹⁾: من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء وفيها " العرضة " وهي تسميع مقدار اليوم على الشيخ عن ظهر قلب فيسمع الطالب وقوفاً.

6. السُّبع: وهو ساعتان بعد العشاء. وفيه يراجع الطلاب ما حفظوه فيدورون في دائرة عريضة تتوسطها النقابة ويدور الشيخ عكسهم ليقوم بمراقبتهم وتوجيههم. وقراءة السبع إما فردية وإما ثنائية والثنائية⁽²⁾ تسمى المدارس فيبدأ أحدهم بالثمن الأول من القرآن ويقرأ الثاني الثمن الثاني إلى أن يختتم ثم يعودان فيبدأ الثاني بالثمن الأول والأول يقرأ الثاني وفوائد هذه المدارس كثيرة منها الاستدراك على

⁽¹⁾ انظر: الطيب: المسيد: ص 101 مصدر سابق.

⁽²⁾ انظر: الزاكي: سبل تطوير المؤسسات القرآنية في السودان: ص 59 مصدر سابق.

بعض وكشف الأخطاء كما فيها التنافس بين الأقران خاصة إذا كان أحدهم أحفظ من الآخر.

وقد وزعوا مراجعة القرآن على سبعة أقسام سمّوها "أسباعاً" وقد اصطَلَحُوا على تقييد أوائل الأسباع بقولهم "قَمِي بِشَوْقٍ" الفاء الفاتحة، الميم المائدة الياء يونس الباء بنو إسرائيل "الإسراء" الشين "الشعراء"، الواو "والصافات" والقاف "ق". وفي يوم الأربعاء تضاف نصف ساعة بعد نهاية السبع يتم فيها اختبار الطلاب في الحفظ وفي الرسم العثماني.

وبهذا التكرير تصحيح المطالعة وتسميعها وكتابة اللوح من الحفظ وتصحيح كتابته وتصحيح القراءة وتسميع العرضة والسبع والامتحان في المحفوظ والرسم العثماني يتقن الطالب وينقل القرآن عذبا مسلسلا بأصواته ورسمه وضبطه. فإذا حفظ الطالب القرآن وأتقنه يسمع على الشيخ من الفاتحة إلى الناس بما يعرف بالتصويت وهو أن يقرأ الطالب وينصت الشيخ في وقت محدد أحيانا لا يتجاوز الثلاثة أيام ثم يجاز فإذا كان حسن الخط كُفِّ بكتابة مصحف وإهدائه للخلوة ولكن الآن مع ظهور وتوافر المصاحف المطبوعة أسقط هذا التكليف. وإذا كان الطالب من أسرة ميسورة يذبح ثورا أو بعيرا.

رعاية الطلاب وإعاشتهم:

لقد أسس الشيوخ بجانب الخلوات المشاريع الزراعية فمثلا الشيخ المؤسس لخلوة ود أبي صالح أنشأ أربعة مشاريع زراعية يقوم بفلاحتها هو وطلابه في خطة غاية في الترتيب والنظام فيزرعونها ويحصدونها دون أن يتأثر برنامج الحفظ فهم

قوة متجهة فاعلة لا يرضون أن يكونوا عالة على غيرهم بل هم أصحاب عطاء وإنفاق كيف والمولى قد وصف أهل القرآن بذلك فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُم سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾⁽¹⁾ ولكن المجتمع الذي أعجبه صنيع الشيوخ يسهم بشكل أو بآخر، وكذلك الحكومات الوطنية لم تكن بمعزل عن الإسهام والمشاركة.

الإجازات:

« العطلات » ويطلق عليها في السودان « البطالات » جمع بطالة، اما الإجازات فهي يومان في الأسبوع الخميس والجمعة وعشرون يوما في عيد الفطر ومثلها في عيد الأضحى ولا تعرف الخلوات غير هذه الإجازات إلا إذا وقع حدث يهم المجتمع كفيضان النيل.⁽²⁾ أو أحد روافده أوداهم الجراد الزرع أو حصل عجز في الأيدي العاملة أو نادي مناد الجهاد فعند ذلك تجدهم في طليعة مجتمعهم الذي يبادلونه الود بالود والحب بالحب فيقومون بأعمال الرَّدَميات وطرد الجراد وحصاد البلاد⁽³⁾ والتصدي للعدو الغاشم كما حصل أيام الغزو الانجليزي.⁽⁴⁾

حفظ الرجز لتسهيل المتشابه اللفظي:

ومما تميزت به الخلوات بالسودان حفظ طلابها أرجوزة تسهل المتشابه اللفظي فقد ألف الشيخ الدنفاسي الذي عاش في القرن العاشر الهجري منظومة

⁽¹⁾ سورة فاطر الآية 29.

⁽²⁾ انظر: الطيب: المسيد: ص 111 مصدر سابق.

⁽³⁾ انظر: المصدر نفسه ص 112.

⁽⁴⁾ انظر: المصدر نفسه ص 295.

تتألف من أربعمئة وأربعة أبيات في المتنشابه اللفظي وبعض الرسم من حذف وإثبات وفصل ووصل وقد كتب الله لها القبول فلا تخلو خلوة من الخلوات إلا وطلابها يحفظون تلك المنظومة عن ظهر قلب، كما لا يخلو مصحف من المصاحف المخطوطة إلا وكتب الكثير منها على هامشه، ومعروف في الخلوات أن الطالب الذي يشكل ويتشابه عليه المتنشابه يقولون له: عليك بالدفناسي يا هواسي، اي عليك بحفظ منظومة الدفناسي لتحل وتميز لك المتنشابه.

وهذه بعض الأمثلة للمتنشابه في بعض ألفاظه:

1. مَا نَزَلَ اللَّهُ إِذْ ثَلَاثَةٌ لَا غَيْرُهَا فِي جُمْلَةِ الْوَرَاثَةِ
فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ وَالْقِتَالِ وَسُورَةِ الْمَلِكِ الْمُعْبُودِ ذِي الْجَلَالِ (1)

إذا علمت "ما نزل" سهل عليك "ما أنزل" ولا يحدث تشابه بينهما.

2. مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةٌ نَجَوْتَ يَوْمَ الْعَرْصِ
فِي يُوسَسَ وَالْحَجِّ ثُمَّ النَّمْلِ وَرُمِرَ نَجَوْتَ يَوْمَ الْهَوْلِ (2)

فإذا علمت هذه الأربعة سهل عليك "من في السموات والأرض" وهي تسع ولا داعي لتقييدها.

3. وَأَفْرَأَ بَقَاءٍ أَفْلَمَ يَسِيرُوا فِي يُوسُفَ وَالْحَجِّ يَا بَصِيرُ
وَأَخِرُ الْمُؤْمِنِ وَالْقِتَالِ مِنْ غَيْرِ مَا رَيْبٍ وَلَا مِثَالٍ (1)

(1) الدفناسي: الشيخ: منظومة الدفناسي ص14 مطبعة دار جامعة القرآن الكريم، مراجعة محمد محمد الأمين الغبشاوي.

(2) المصدر السابق ص 15.

إذن غير هذه الأربع بالواو "أولم" ولا داعي لتقييدها.

4. مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ بِالنَّمَامِ فِي ص وَالسَّجْدَةِ وَالْأَنْعَامِ (2)

إذن غير هذه الثلاث "قبلهم من" بحذف من الأولى.

5. ثَلَاثَةٌ فَأَعْلَمَ "فَنَجَّيْنَاهُ" فِي يُونُسَ وَالْأَنْبِيَاءِ بَيِّنَاهُ
وَأَخِرُ الشُّعْرَاءِ فَلَا تَنْسَاهُ أَدْرِكُ حَقِيقَتَهُ كَذَا مَعْنَاهُ (3)

إذن غير هذه الثلاث "فأنجيناه".

6. حَكِيمٌ عَلِيمٌ قَدْ أَنْتَكَ خَمْسَةٌ لَا تَسْمَعُ مَنْ قَالَ هُنَّ سِتَّةٌ
ثَلَاثَةٌ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ سَلَّمَنَا اللَّهُ مِنَ الْأَثَامِ
وَرَابِعٌ فِي الْحَجْرِ بِالْبَيَانِ وَخَامِسٌ فِي النَّمْلِ قَدْ أَتَانِي (4)

وهذه بعض الأمثلة للرسم:

قال في رسم الملاء بالواو:

7. بَابُ الْمَلُوءِ بِالْوَاوِ يَا خَلِيلِي ثَلَاثَةٌ فِي النَّمْلِ بِالتَّغْلِيلِ
وَوَاحِدٌ فِي أَوَّلِ الْفَلَاحِ كَذَا أَتَى فِي الْكُتُبِ الصَّحَاحِ (5)

(1) المصدر نفسه ص 16.

(2) المصدر نفسه ص 21.

(3) المصدر نفسه ص 33.

(4) المصدر نفسه ص 17.

(5) المصدر نفسه ص 24.

إذن ما عدا هذه الثلاثة يرسم بالألف "الملا".

وقال في رسم "نبؤ" بالواو:

8. نَبُؤٌ بِالْوَاوِ كَيْفَ جَاءَ
فَإِنَّهُ بِالْألفِ قَدْ يُكْتَبُ
إِلَّا الَّذِي فِي تَوْبَةٍ قَدْ فَاءَ
وَهُوَ الَّذِي صَحَّ عَلَيْهِ الْمَذْهَبُ (1)

فكل "نبأ" رسم بالواو إلا الذي في سورة التوبة فإنه بالألف.

وقال في المفصول في "وَأَنَّ مَا":

9. وَأَنَّ مَا مَقْطُوعَةٌ حَرْفَانِ
فِي سُورَةِ الْحَجِّ مَعَ لُفْطَانِ (2)

فما عداهما موصول.

وقال في المفصول في "وَأَنَّ مَا":

10. وَأَنَّ مَا يَقْطَعُ النُّونَ فِي الْقُرْآنِ
فِي الرَّعْدِ قَرَدٌ خُذُهُ بِالْبَيَانِ (3)

وهكذا تميزت الخلوات في السودان بحفظ تلك المنظومة التي تساعد في تسهيل المتشابه مما يقوي الحفظ، ورسم المصحف من حذف وإثبات وفصل ووقف وغير ذلك.

(1) المصدر السابق ص 25.

(2) المصدر نفسه ص 24.

(3) المصدر نفسه ص 44.

خاتمة:

الحمد لله جل في علاه، والصلاة والسلام على نبيه ومصطفاه، وعلي آله وصحبه ومن والاه.

وبعد:

لقد أبرز هذا البحث دخول القرآن في السودان، وانتشاره في كل ربوعه، وجهود الشيوخ في ذلك الانتشار من خلال تلك الخطط التي وضعوها والجهود التي بذلوها والمشاق التي تكبدوها. فأقاموا الخلوات الكبرى في كل ولايات السودان وجاء أبناءهم فحافظوا على قيامها واستمرارها ورعايتها. وهكذا جميع الخلوات التي أنشأها الآباء يحافظ على بقائها الأبناء حتى استحقوا أن يقال في آبائهم وفيهم:

عُهُودٌ مِنَ الْآبَاءِ تَوَارَثَهَا الْأَبْنَا
بَنَوْنَا مَجْدَهَا لَكِنْ بَنُوهُمْ لَهَا ابْنِي

وركز البحث على القرن الرابع عشر الهجري الذي انتشرت فيه الخلوات في جميع أرض السودان من مدن وقري، وبرز شيوخ كرام في إنشائها خاصة أن هذا القرن قد جثم فيه المحتل الغاشم على صدر الأمة، وأعلن حرباً شعواء لا هوادة فيها على القرآن مما جعل أولئك الشيوخ الأفاضل أن يتنادوا معلنين قيام تلك الخلوات ليلتف المجتمع المسلم حولهم مباركاً ومشاركاً.

ثم جاءت الحكومات المحلية فدعمت ورعت وأنشأت المعاهد والجامعات المتخصصة ليواصل الحفاظ تعليمهم العام والعالي.

كما أبرز هذا البحث تميز الخلوة السودانية في نظام قبولها، ووسائلها، وادواتها، ومناهجها، واجازاتها ورعايتها، واعدادها للطلاب؛ ليقودوا أمتهم بالقرآن الذي عم خيره وانتشر وفاح طيبه وعطر، فالحمد لله أسأل أن يبارك في كل من أسهم، وشارك، ودعم، وصلي الله وسلم وبارك على حبيبنا ونبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، واخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. ابن الجزري: أحمد بن محمد المعروف بابن الناظم: شرح طيبة النشر في القراءات العشر تحقيق شعبان محمد إسماعيل، المكتبة الفيصلية.
3. ابن الجزري: محمد بن محمد بن يوسف: طيبة النشر في القراءات العشر مكتبة دار الهدى بالمدينة المنورة، ضبطه وصححه وراجعته محمد تميم الزعبي.
4. ابن ماجة: محمد بن يزيد: سنن ابن ماجة: دار إحياء الكتب العربية: فيصل عيسى البابي الحلبي تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
5. ابن منظور: محمد بن مكرم الأنصاري الخرجي: لسان العرب الطبعة الأولى دار الفكر بيروت
6. الإمام أ. د. أحمد على: الخلوة والعودة الحلوة. دار السداد للطباعة.
7. الأمين: د. إدريس علي: الإمامة الصغرى لدوري أبي عمرو: مجلة كلية القرآن الكريم العدد الأول مطبعة: جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية السودان.

8. البيلي: أ. د. أحمد إسماعيل: القرآن في السودان منذ فجر الإسلام وحتى اليوم
محله كلية القرآن الكريم العدد الأول مطبعة: جامعة القرآن الكريم.
9. الدنفاسي: الشيخ: منظومة الدنفاسي في ضبط وعد آي القرآن الكريم مطبعة
جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية السودان.
10. الرازي: محمد بن أبي بكر مختار الصحاح دار العلم للملايين بيروت لبنان.
11. الزاكي: د. مأمون عبد الرحمن: مجلة بصائر، دار بصائر للطباعة والنشر
السودان الخرطوم.
12. الطيب محمد الطيب: المسيد: هيئة الخرطوم للطباعة والنشر
13. بيتاي: الشيخ علي: الهداية إلى الطريق المستقيم بدون طبعة.
14. عبد الله: أ. د. علي العوض. رسم القرآن في المصاحف السودانية. مجلة
كلية القرآن الكريم العدد الأول: مطبعة جامعة القرآن الكريم والعلوم
الإسلامية السودان.